19841228-0002_M

السفير ٢٨/١٢/١٩٨٤

استحاء نايفة بخار حماده

أم المخطوف

الرئيس سليم الحص

فاضت الروح من القلب الكسير.

حملت غيابه في قلبها ألمًا، كما تحمل الأم جنينا في أحشائها. وبعد تسعة أشهر بالتمام والكمال، يومَ تضع الأم وليدها، كأنما كانت نايفة على موعد مع فقيدها. فلمّا لم يوافها أسلمت الروح إلى باريها.

لعلها قطعت الأمل من عودته فرحلت إليه.

لعلها أرادت أن تنقر القلوب بعد أن أعياها طرْقُ الأبواب والمسامع بحثا عن ولدها الضائع.

لعلها أرادت أن تسطّر من غياب ابنها عليّ رسالة:

إلى كل ملهوف عسى أن يجد في محنتها بعض عزائه،

إلى كل منكوب عسى أن يجد في مأساتها صدى ندائه،

إلى كل مسؤول كيما يبقى همّ المخطوف شاغلاً من شواغله وعبئا من أعبائه.

إلى كل خاطف أثيم عساه يدرك أن وراء كل مخطوف قلوباً تتفطّر وأن إثمه عند ربه كبير لا يُغتفر.

لعلها أرادت أن تذكّر مجتمعا أنهكته الخطوب فكادت أن تبدّد قِيَمه وتجتثّ أصوله وتفكك أوصاله، أن الإنسان لم يزل هو مرسى كل القيم، هو معقد كل أمل، هو مبلغ كل عمل. والإنسان لا يضيع ولو فُقد.

لعلها أرادت أن تذكّر العالم المتحضر أن الإنسان في لبنان هو القضية.

سفحت نايفة على ابنها عليّ دموعا سخية.

طالبتني به مرات عديدة، وما كانت تحدثني إلا لتذكّرني به. وكنتُ في كل مرة أشعر بنفسي تتضاءل أمامها وتنكمش لشعوري بالقصور عن نجدتها والعجز عن نصرتها.

واليوم، وقد اختارت جوار ربها، لا نملك إلا أن نذرف عليها دمعة حرّى، ونؤكد لها أن ابنها عليّا، ذلك الفتى اليانع الذي غيّبته يد الغدر والجبن، سيبقى ملء الوجدان ونصب العين، عنوانا لقضية مركزية هي قضية الإنسان المهدور في الوطن الممزق.

ماتت أم المخطوف مرتين، مرة يوم خطفوا ابنها ومرة يوم خطفت المنية روحها.